الحرب الهجينة: المقاربة غير المباشرة المتكيفة لتغيير النظام
Hybrid Wars: The Indirect Adaptive Approach To Regime

تحرير: آندرو كوروبكو — *Author:Andrew Korybko*

الناشر: مركز نورس للدراسات - 2019 — *Publisher : Nors For Studies 2019*

مراجعة: محمد نور المبيض — *Reviewed by: Muhammed Nur Almobaid*

عدد الصفحات: 144 — *Pages: 144*

منذ قرون بعيدة أدرك السياسيون أن المواجهة غير المباشرة أكثر فعالية من المواجهة المباشرة في الحروب؛ لأنّها تتيح للخصم هزيمة عدوّه من دون الاصطدام معه مباشرة، وبذلك تصبح أقل تكلفة من حيث الميزانية، وأكثر مناورة؛ لكونها تحول العدو من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع، وهذا يعرضه لهجمات اقتصادية وسياسية وأمنية أكثر، وبذلك تجبر المُدافع على تكلفه ما كان سينفقه بشكل أفضل على صدّ هجوم مباشر بإنفاقه على صدّ هجوم غير مباشر.

أما من الناحية الإستراتيجية، فإنه قد توجد أحيانًا قيود تمنع دولة ما من مهاجة دولة أخرى بشكل مباشر، كالتحالفات والتوازنات العسكرية، وهذا يضطرها للهجوم غير المباشر. ولا يخلو الوقت الحاضر من هذه القيود، فإن قيودًا كأسلحة الدمار الشامل، وانقسام العالم لعدة أقطاب- ستدفع الدول بالتأكيد لترجيح مواجهة غير مباشرة مع خصومها. على سبيل المثال، التكافؤ ما بين روسيا والولايات المتحدة في المجال النووي، والنظام الدولي المعاصر- يجعلان من شنّ الحرب المباشرة أكثر تكلفة وأكبر عبئًا، ولعله أقل تأثيرًا، وهذا يثنيهما عن قبول المواجهة المباشرة مع بعضهما.

إن سلاح اليوم لم يعد مقتصرًا على الدبابة والقذيقة والصاروخ، فلعل صوت المتظاهرين في الميادين أصبح أكثر تأثيرًا من الدبابة نفسها على الجبهات. ولعله مستقبلًا سيُعتَمد في المواجهات على الجهات الفاعلة غير الحكومية أكثر من العملاء والمخبرين السرِّيّين، ولعل وسائل التواصل الاجتماعي وغرف الدردشة أصبحت أكثر فتكًا من الضربات المباشرة، ولربما أصبحت الحرب بالوكالة أعتى من الحرب على أرض العدو، وقد رأينا كيف أصبحت الانقلابات وعمليات تغيير النظام غير المباشرة أكثر تأثيرًا من الاحتلال التقليدي.

إن الحروب التي اندلعت خلال العقدين الأخيرين فوق مسارح متعددة، وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط وشرق أوروبا- تدل على أن الفاعلين من الدول أو من غير الدول إنما يخوضونها بمفهوم وأساليب الحرب الهجينة. وإن الدول التي تقاتل وفق أسلوب الحرب الهجينة تشكّل تحدّيًا مهمًّا أمام الدول التي تتبنى أساليب القتال التقليدي، حتى إن كانت

DOI:10.36360/1560-010-004-012

مدعومة بالتقنيات الحديثة؛ لكونها تعمل بأسلوب حرب العصابات ذات المجموعات الصغيرة.

ولذلك يقدم لنا آندرو كوروبكو كتابه "الحرب الهجينة" ليرينا كيف أن الحرب الهجينة أو الحروب غير المتماثلة- تشكل تطورًا كبيرًا في أجيال الحروب المعروفة، وكيف أنها هي أيضًا الجيل الرابع للحروب بعد التقليدية وغير التقليدية والإلكترونية، ولماذا هي النموذج الأكثر تطورًا وتأثيرًا. بالإضافة إلى تحليله آلية عملها وكيف أن الحرب الهجينة في الوقت الذي تسعى فيه إلى استنزاف العدو عسكريًّا- تسعى في المقابل للضغط عليه سياسيًّا، إلى جانب تهيئة الحواضن الاجتماعية في مجال الدعم والمساندة؛ لتقوم بدورها المطلوب. إضافة إلى كونها تدعمُ كل الجهود المذكورة بتغطية إعلامية؛ من أجل الوصول إلى التأثير والهدف المطلوب المتمثل بإنهاك العدو هزيمته من الداخل.

قسم الكاتب كتابه أربعة أبواب أردفها بباب للاستنتاجات، وباب ملحق تحدث فيه عن آليات الثورة الملونة الأساسية. أما الباب الأول، فيتحدث فيه الكاتب في الفصل الأول منه عن السياقات النظرية التي ينطلق منها هذا المفهوم الجديد، فيبحث أولًا في النظريات الجيوسياسية، كنظرية ماهان وماكيندز اللتين تتبنيان أن السيطرة على البحار تعني السيطرة على العالم. وبعدها يركز على نظرية محيط جزيرة العالم، ومن ثم ينتهي بنظرية البلقان الأوراسي، التي يفترض فيها بيودسكي فكرة الزعزعة الإستراتيجية الطرفية في المنطقة؛ لإضعاف النواة الروسية، والحفاظ على الهيمنة الأمريكية. وبهذا يكون الكاتب قد وضع النظريات الجيوسياسية التي تحلل سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه روسيا.

ومن هذا المنطلق، يشرح الكاتب النظريات العسكرية التي تحلّل ترجيح الأسلوب الخفيّ وغير المباشر لزعزعة استقرار روسيا. يناقش الكاتب في هذا الفصل أنواع الحروب، وبخاصة حرب الجيل الرابع، وكيف أصبحت الحروب في هذا الجيل أكثر سلاسة وغير مركزية وغير متكافئة، واختلفت بذلك عن حروب الماضي. وبعدها يتحدث عن نظريات الحلقات الخمس، وكيف أنه توجد خمسة مراكز ثقل رئيسة تمسك القوى المضادة وتجعلها معًا، وبها يشرح كيف أنه كلما اقترب الهجوم من النواة، كان أكثر قوة ودويًّا. وبعد ذلك ينتقل الكاتب للنظر في حلقة OODA وما سمّاه المقاربة غير المباشرة. الحقيقة أن الكاتب أعطى حلقة OODA أهمية في أثناء طرحه، وبنى عليها الكثير من آرائه بعد هذا القسم، وتكون حلقة OODA بهذا الشكل: ("المراقبة" توجيه النفس "اتخاذ القرار" التصرف). وينتقل الكاتب بعدها للحديث عن نظرية الفوضى، حيث يحلل كيف أن هذه النظرية تعتمد على قليل من المتغيرات الأولية، وكيف أنه بمجرد الحصول على وصف دقيق للبيئة يصبح بالإمكان وضع الإستراتيجيات تعزّز مصالح دولة معينة. وأخيرًا يسلّط الكاتب الضوء حول نظرية "قُدْ من بعيد" التي تستخدمها أمريكا؛ بسبب وجود بعض القيود التي تمنعها من استخدام القوة خارجها. وبعدها ينهي الكاتب الباب الأول بحديثه عن مفهوم الهيمنة التامة (Spectrum Dominance Full)، فيذكر بداية انسجام الهيمنة التامة والثورات الملونة، حيث يناقش أهمية إيصال الثورة إلى العدد الكبير من

السكان، إذا ما أُريد تسخير الجموع ضد الدولة. وبعد ذلك ينتقل للهيمنة التامة والحروب غير التقليدية، وكيف أن أهدافها هي الحصول على أكبر قدر ممكن من الهيمنة المادية داخل الحلقات الخمس التي شرحها قبل ذلك. ويختم الكاتب هذا الفصل بموضوع هيمنة الديناميات الفوضوية، حيث يبين كيف أن الفوضى التي تأتي مع الثورات الملونة والحروب غير التقليدية تنتشر في جميع نظام العدو، تمامًا كانتشار الفيروس في جهاز الحاسوب.

وأما الباب الثاني، فيركز على كيفية تطبيق الثورات الملونة، ويعالج المنظور الذي ينبغي من خلاله رؤية الثورات الملونة، ويضع الأطر النظرية والإستراتيجية التي تدعم هذه الظاهرة. ويركز أيضًا على كيفية انتشار الأفكار وراء الثورات الملونة وتجنيد المشاركين، وكيف أن هناك تركيزًا كبيرًا حول العمليات النفسية في الوصول إلى الديمغرافيات المستهدفة والمحددة، وكيف تُجنَّد حرب الشبكات في نشر رسائل هذه العمليات. فيحلّل بداية مفهومي الدعاية وهندسة الموافقة، وآلية دوران هذين المفهومين حول ركيزة نشر المعلومات بين السكان. وبعدها ينتقل إلى مفهوم الحروب القشرية العكسية الجديدة، والتي يمثّلها بنظام القشرة المخية للعدو، التي تهتمّ بالسيطرة على سلوك أفراده. ومن هناك يشرح الحروب القائمة على شبكات التواصل الاجتماعية وارتباطها الوثيق بالثورات الملونة عند تكييفها مع الشكل الاجتماعي. وبعدها يحلّل حرب الشبكات الاجتماعية وأنواعها. ومن المنطلق نفسه يُجري دراسة لحالة الفيس بوك وأهميته في هذا الحقل. ويؤكّد الكاتب بعد ذلك أن آخر ما ينتج عن هذه الأعمال هو صنع " أسراب الاجتياح" المؤلفة من المدنيين الفاعلين المناهضين للحكومة، التي يُفتَرض تباعًا أن تعمل بتعاليم جين شارب (Gene Sharp) التكتيتية. وبعدها يُختَم الفصل بتعليق مختصر عن أهم شخصيتين معتبرتين لهما تجربة في استعمال هذه الأنماط.

ينتقل بعدها للباب الثالث الذي له تنظيم الباب الثاني نفسه، ولكنه يختلف عنه بأنه يحلل الحروب غير التقليدية بدلًا من الحروب الملونة. فيشرع بتعريف الحروب غير التقليدية من وجهة نظر عسكرية أمريكية، ويُتبِع هذا التعريف بتعديل يناسب منهجية الكتاب. ثم يبحث الكاتب في صعود الأطراف غير الفاعلة في الحقبة التي تلت الحرب الباردة، وكيفية استخدام الولايات المتحدة لها، وعمليات الحروب الخاصة بالولايات المتحدة في تلك الحقبة. وبعد ذلك يناقش الكاتب كيف تتبع الحروب غير التقليدية نفس النمط الفكري الإستراتيجي للحروب الملونة، ويناقش وأوجه التشابه بينهما. وينهي الكاتب الباب الرابع بمناقشة المنهاج التدريبي الحربي (TC 18-91)، الذي قد سُرِّب بشكل جزئي من الجيش الأمريكي؛ ليُرينا الكاتب تطبيقات هذا المنهاج الحربي المتصلة بالكتاب.

أما الباب الرابع فيركّز على الربط بين مفهومَي الثورات الملونة والحروب غير التقليدية، وبعدها يشرح الكاتب التكامل الموجود في جزئياتهما لإسقاط نظام معين . وتكمن أهمية هذا الباب بأنه يجمع نتائج الأبواب السابقة له معًا؛ ليبني عليها النظرية الجديدة "الحرب الهجينة" التي هي محور هذا الكتاب، وهذا القسم مهمّ؛ لأن مفاهيمه تنبني فوق بعضها؛ ليُلخَّص بها للنظرية الجديدة.

أمّا الفصل الأخير فهو استنتاجات يختصر فيه

الكاتب كل أبواب الكتاب، بالإضافة إلى عدد من الأفكار المستخلصة، واقتراح توصيات، وتقديم توقّعات عامّة محدودة حول مفهوم الحرب الهجينة.

وقد جعل الكاتب إستراتيجية أمريكا الجديدة للحرب غير المباشرة في الأزمة السورية والأوكرانية من أهم موضوعات هذا الكتاب؛ لأن كلتا الحالتين جعلت الكثير يتساءلون عما إذا كان بالإمكان تصدير الثورات الملونة إلى بقية الشرق الأوسط، أو حتى وصولها إلى أوربا، إذ يرى الكاتب أنه إذا ما تمت مقارنة تلك الحالتين (الأوكرانية والسورية)، فإنه سيتسنى للباحث بأن يكتشف نهجًا جديدًا يهدف إلى تغيير النظام. ويتمثل ذلك بداية بنشر ثورة ملونة على أنها محاولة انقلابية ناعمة، وينتهي بانقلاب عنيف، يتمثل بحرب غير تقليدية بعد إخفاق الخطة الأولى.

ويعرّف الكاتب الحرب غير التقليدية بأنها: كل نوع من القوات غير التقليدية (قوة عسكرية غير رسمية) تشارك إلى حد كبير في القتال غير المتكافئ ضد خصم عسكري تقليدي. ويرينا كيف أن الثورات الملونة والحرب غير التقليدية تمثلان المكونين اللذين يشكّلان نظرية الحرب الهجينة، وكيف أنها الأسلوب الجديد للحرب غير المباشرة التي تشنّها الولايات المتحدة.

ويحاول الكاتب أن يقدّم جوابًا وتفسيرًا نظريًّا لهذا السؤال: لماذا كلّما اقتربت عمليات زعزعة الاستقرار من قبل أمريكا من المراكز المستهدفة كروسيا والصين وإيران انخفضت احتمالية الحرب المباشرة، وازدادت احتمالية تطبيق الوسائل غير المباشرة المتمثلة في الثورات الملونة والحرب غير التقليدية؟ وهل يمكن عكس النظرية؟ أي كلما ابتعدت عمليات زعزعة الاستقرار عن المراكز نفسها ازدادت احتماليات الحرب المباشرة. وبناء على ذاك يسلّط الكاتب الضوء على أن ابتعاد ليبيا عن المراكز المستهدفة (روسيا وإيران)، هو السبب في دخول حرب مباشرة لإسقاط النظام هناك، ولأن سوريا وأوكرانيا أقرب إلى هذه المراكز فقد لجأت الولايات المتحدة إلى تطبيق الأسلوب غير المباشر، المتمثّل بالثورات الملونة والحروب غير التقليدية. وفي هذا السياق يتوقّع الكاتب أن يصبح هذان النموذجان (السوري والأوكراني) معيارًا في المستقبل.

ومما لا ينبغي إغفاله أن الكاتب جعل الإستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة موضوع كتابه، وجعل مادة بحثه حول القالب الجاهز للولايات المتحدة في أسلوبها الجديد في تغيير نظام ما، وقد شرح الكاتب هذا القالب الأمريكي المتطور وحلّله.

ويحلّل الكاتب أيضًا شِقَّيْ المقاربة المتكيفة: الثورة الملونة والحرب غير التقليدية فقط؛ لأنّه عدّ ذلك نظرية جديدة للحرب في حد ذاتها، إذ يمكن دمجهما. أما بالنسبة للتدخل العسكري فهي خطوة ثالثة لا يمكن دمجها مع تلكما.

ويأخذ الكاتب الحالة السورية والأوكرانية مسرحًا للدراسة، لاختبار هذه النظرية الجديدة، وبذلك يسعى الكاتب إلى توسيع فهم القارئ حول هذا المفهوم المهمّ (الحرب الهجينة)، ويأمل أنّه وضع أساسًا لمزيد من البحوث العلمية حول هذا الموضوع العميق.